النظرية السّياقية

تسعى النّظرية السّياقية إلى دراسة المعنى وفق تأسيسها العلمي الذي ترى فيه أن الكلمات لا معنى لها خارج السّياق، ويجب تسييقها لكي تحمل معنى هو ذاك الأهم، وذلك لما للسّياق من أهمية "كبيرة في تحديد المعنى وتوجيهه؛ ومعظم الكلمات من حيث المفهوم المعجمي دالة على أكثر من معنى واحد، فالذي يحدّد هذه المعاني ويفصلها هو السّياق في مورد النصّ، لذلك نلاحظ أنّ اللغويين يصفون المعنى المعجمي للكلمة بأنّه متعدّد ويحتمل أكثر من معنًى واحد، في حين يصفون المعنى السياقي لها بأنّه واحد لا يحتمل غير معنًى واحد.

بين معنى الكلمة في المعجم وبين تسييقها في التّركيب اللغوي فرق، لأنّها المعجم تحمل دلالات متعدّدة، أما في التّركيب تضطلع بدلالة واحدة يُحمّلها إياها السّياق؛ والفرق كما ورد بين المعنى المعجمي والمعنى السّياقي واضح وجلي "المعنى السّياقي معنى واحد ومحدّد – على خلاف المعنى المعجمي فهو احتمالي ومتعدّد – ويطلق عليه المعنى الاجتماعي، أو المعنى المقامي، وهو معنى يستنبط من القرائن اللغوية (السياق اللغوي)، مع مراعاة الظّروف الخارجية والأحوال التي تتّصل بها (السّياق غير اللغوي).

في خضم هذا ندرك أن السّياق "هو العشّ الذي تحيا فيه اللفظة، وهذا ما يؤكّد جانب الوظيفة الاجتماعية للغة، ومن هنا فإنّ تعدّد المعنى الوظيفي للأداة، ودلالتها يكون حسب ما تفيده من السّياق، والسّياق هو الذي يعكس تشابك العلاقات بين المعطيات الصّرفية والنّحوية؛ وظيفة اللغة وطابعها الاجتماعي يجعل من حياة اللفظة وكينونتها يكون داخل السّياق بلا منازع، ذلك أنّ السّياق التّركيبي بصرفه، ونحوه، وبلاغته يمنح الألفاظ الوجود الحقيقي. ما أسفر أنواع من السّياق تبعا للأحوال والمواقف التي تدور فيها العملية الخطابية، وهذه الأنواع هي على التوالي:

1- **السياق اللغوي:** هو الحوالية أو "المحيط الدلالي الذي يحدّد مدلول العناصر اللسانية، فيختلف المدلول باختلاف السياقات التي يرد فيها" فمثلا مدلول فعل "ضرب" يختلف حسب السياق الذي يرد فيه نحو:

- ضربت الطير: أي ذهبت تبتغي الرزق
- ضرب الدرهم: بمعنى سبكه وطبعه.
- ضرب الجزية عليهم: أي أوجبها.

بهذا يكون ا"لمدخل المعجمي المتمثّل في البنية المورفولوجية (ضرب) في اللسان العربي يختلف مدلوله من سياق لساني إلى آخر" وهذا ميزة من ميزات اللغة العربية التي تزخر بها.

2- **السياق العاطفي:**

يحدّد هذا النوع من السياق "دلالة الصّيغة أو التّركيب من معيار قوة أو ضعف الانفعال، فالبرغم من اشتراك وحدتين لغويتين في أصل المعنى إلا أنّ دلالتها تختلف. الفيصل في معنى الصيغة هنا درجة انفعال المرسل مع ما يلفظ من كلمات، وما يُحمّلها من دلالة. الموقف "الذي يقع فيه الحدث الكلامي له اعتبار مهم في تحديد المعنى فعبارة (السلام عليكم) تحية إسلامية، ولكن هذه العبارة قد تتحوّل إلى معنى المغاضبة والمقاطعة حين يحتدّ النّقاش بين شخصين ويبأس أحدهما من إقناع صاحبه، فيذهب مغاضبا ويقول (السلام عليكم).

سياق الموقف: في هذا النوع "يدل سياق الموقف على العلاقات الزّمانية والمكانية التي يجري فيها الكلام، وقد أشار اللغويون العرب القدامى إلى هذا السّياق، كما عبّر عنه البلاغيون بمصطلح (المقام). الظروف المحيطة بالعملية التواصلية هي ما يعطي المدلولات دلالتها حسب الموقف الذي ترد فيه.

يمكن لنا أن نمثّل لذلك بلفظ (عملية) الذي يتغيّر مدلوله في النّسق اللساني العربي بتغيّر السّياق الموقفي الذي يرد فيه، فإجراء العملية في سياق موقفي تعليمي، يعني إجراء عملية حسابية مألوفة من ضرب أو جمع أو طرح، وفي السّياق الطبّي يعني إجراء عملية لاستئصال ورم أو غيره، أما إجراؤها في السياق الموقفي العسكري فيعني تنفيذ خطة عسكرية معينة.

ما أنتجته النظرية السياقية ضمن هذا التطور المعرفي هو فكرة (الرّصف) وهو يعني مراعاة وقوع الكلمات مجاورة لبعضها حيث يعدّ هذا الوقوع أحد معايير تحديد دلالة الكلمة. كمثال على عملية الرّصف "ارتباط كلمة (منصهر) مع مجموع الكلمات: حديد- نحاس- ذهب – فضة...ولكن ليس مع جلد مطلقا متلقي الخطاب يحدث لديه زعزعة وغموض إن سيّقنا الكلمة في سياقات مع كلمات أخرى، مما يدخله في متاهات معنوية لا حصر لها، لكن برصفها مع قريناتها داخل السياق يحقّق الهدف المنشود.